نظرية صراع الطبقات

الجزء التاسع

البروليتاري

الرأسمالية والرياضة وكرة القدم وأشياء أخرى

الحلقة الأولى

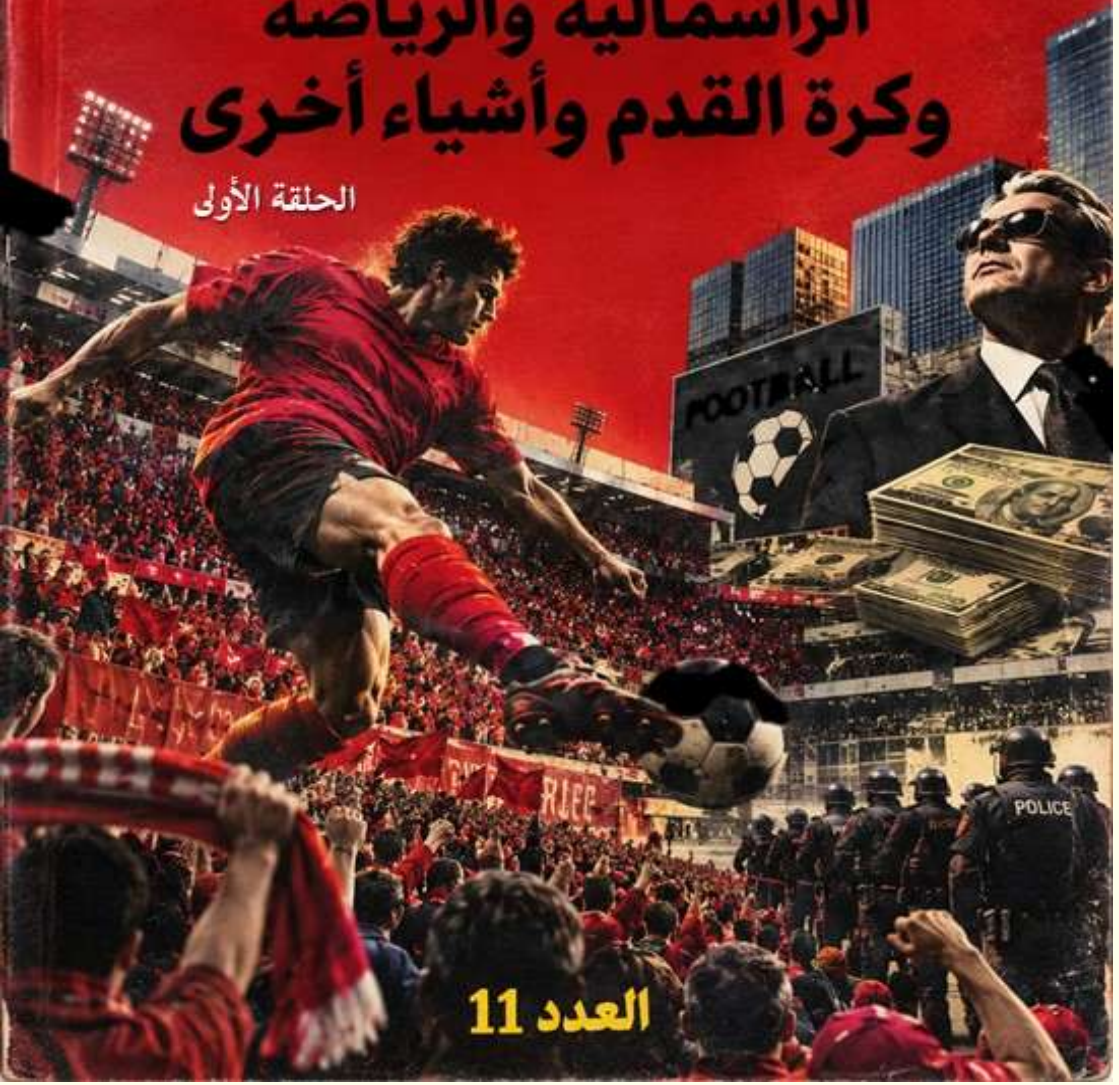

العدد 11

نظرية صراع الطبقات

علي محمود

الجزء التاسع

الرأسمالية و الرياضة و كرة القدم و أشياء أخرى

تقديم

تعاملت الحركة العمالية بحذر في البداية مع الممارسات الرياضية البورجوازية، لكن الطبقة العاملة، مدفوعة برغبتها بالتشكل كطبقة مستقلة، و تطوير نضالات مطلبية و إصلاحات اجتماعية، سينجح العمال في انتزاع الأنشطة الرياضية، التي كانت ممنوعة عنهم من طرف البورجوازية. هكذا نشأت الرياضة العمالية في البداية بشكل خجول، ثم بعد ذلك، توسعت بفضل النضالات العمالية الكبيرة. في البداية كان كل تجمع أمام الباب عند الخروج يعتبر غير قانوني، و عندما أصبح العمال يتعاطون لعبة الصول (كرة القدم لاحقا) قامت السلطات بمنعها في الفضاء العام (قرار 1835 في بريطانيا) و كانت كل محاولة لممارسة لعبها يعتبر مشبوها وخطيرا في نظر رب المعمل، و كانت الشرطة تعتبرها "إخلالا بالنظام العام".

هكذا، كانت الرياضة العمالية محاصرة في أماكن مغلقة متوارية عن الأنظار، و لم تولد الرياضة العمالية بالفعل، إلا في سياق نشوء التراديونيات العمالية، و لم تتطور الرياضة العمالية إلا بعد نهاية العصر الفكتوري (و توافق من الناحية التاريخية أوج الثورة الصناعية في انجلترا، و امتدت إلى أوروبا و أمريكا) (نسبة لحكم الملكة فكتوريا، التي حكمت بريطانيا العظمى و إيرلندا من 20 يونيو 1837 حتى وفاتها سنة 1901)).

أصبح النشاط الرياضي مرتبطا عند العمال بالروح الأخوية و التضامن، و عند سنوات 1890، و على هذه الأسس، تشكلت النوادي العمالية (كرة القدم أو سباق الدراجات) وسط ما سمي بالضواحي الحمراء. كان الأمر يتعلق بالنسبة للعمال اللذين بدأوا يتشكلون كطبقة مستقلة، بإيجاد فرصة للنضال ضد التبليد في العمل، و الوحدة من أجل التعلم، و تطوير وعيهم عن طريق النشاط السياسي للدعاية، و في فرنسا، و منذ تأسيسه سنة 1907، أكد الاتحاد الرياضي الاشتراكي على ضرورة القيام بالدعاية للحزب، عن طريق تنظيم أنشطة و حفلات رياضية، و المشاركة في المباريات الرياضية، و سنة بعد ذلك، أعلنت الفدرالية الرياضية الاشتراكية ما يلي : "إننا نريد وضع مراكز للترفيه في متناول العمال، و التي ستتطور إلى جانب الحزب وستكون مراكز للدعاية و الاستقطاب".

عن طريق الأنشطة الرياضية، وعى العمال بضرورة النضال الوقائي ضد مساوئ الكحول و النتائج التي يسببها الانحراف، و في أرضيته سطر الاتحاد الرياضي للحزب الاشتراكي ضرورة تطوير القوة العضلية و تطهير رئات الشبيبة البروليتارية، و إعطاء للشباب ترفيهات سليمة و مبهجة، الشيء الذي سيكون مضادا للكحول و الصداقات السيئة، و استقطاب الشباب إلى الحزب، و تطوير روح العمل الجماعي و التنظيم لدى الشباب الاشتراكي.

أما في ألمانيا، فإن نفس الاهتمامات كانت رائجة في سنوات 1890 و 1914 لدى الحزب الاشتراكي الديموقراطي، الذي كان يعمل في مجال تربية الجماهير العمالية، مدعما النوادي و الفدراليات الرياضية، بالإضافة إلى البنيات النقابية و بورصات العمل. و في سنة 1893، تشكل اتحاد الجمباز للعمال، و ذلك للقيام بعمل مضاد للوطنية الشوفينية المنتشرة آنذاك. و في سياق تأكيد الوحدة و الأممية، قام العمال في بلجيكا سنة 1913 بخلق "أممية اشتراكية للتربية البدنية".

1) الرياضة تتحول إلى وسيلة فعلية للضبط الاجتماعي

أمام تطور الأنشطة الرياضية الاشتراكية، لم تبق البورجوازية مكتوفة الأيدي، و ستحاول جر النشاط الرياضي العمالي و تحريفه لصالحها، خاصة في قطاع الصناعة الكبيرة، و قد كان مؤسس الألعاب الأولمبية الحديثة البارون بيير دو كوبرتان نفسه، متخوفا من انتشار فكرة الرياضة الاشتراكية، و هنا ظهرت فكرة إخضاع الرياضة إلى النظام القائم، و أصبحت الرياضة من الأدوات الرئيسية المستعملة في ذلك، فقام أرباب العمل بخلق نوادي يدعون العمال إلى ولوجها، و كمثال عن ذلك، أن نوادي المناجم التي تشكلت في انجلتر، كانت تقوم بتحفيز روح المنافسة بين العمال و منع النقاشات السياسية، و المساهمة في تكسير الإضرابات بخنقها في المهد، و بنفس الروح قام رجال الأعمال في فرنسا بخلق نوادي، كما هو الحال في مدينة ليون (نادي لسباق الدراجات) سنة 1886، و فريق كرة القدم لبومارشي 1887، و كذلك نادي الرياضات المتعددة لمعامل السيارات بانهارد– ليفاسور سنة 1909، و نفس الأمر بالنسبة لشركة بوجو في مدينة سوشو، و ملعب ميشلان في كليرمونت فيروند 1911: إنها نوادي مخصصة للضبط الاجتماعي و التجسس على العمال.

و نستطيع القراءة في تقرير لمدير المناجم في سان غوبان، كيف كان يتم تسجيل، في دفتر المشاركين في النادي، الحضور و المواقف خلال النشاط الرياضي و الآراء السياسية. و يقول جورج دو سان كلير مؤسس نادي راسينغ الباريسي أنه "من المهم أن نشغل الشباب الرياضي بدل أن نتركه في البار فيهتم بالسياسة و تنظيم الإضرابات".

هكذا، و في إطار مقنن، تحول العمال بسهولة بملحق للآلة و التكنولوجيا الناشئة، لقد أصبح الجسم الرياضي أو العامل ممكننا و مجزئ كما هو الحال بالنسبة للحركات الرياضية في التدريب، على شاكلة تقسيم العمل و الحركات المنجزة في المعمل، فقوة العمل و قوة الرياضي المقسمة من خلال الانضباط، سيتم إخضاعها لإيقاع الزمن الصناعي : تفترض المنافسة أن الأعمال تتساوى عبر إخضاع الإنسان للآلة أو عن طريق التقسيم الأقصى للعمل، و بالتالي فالبشر ينمحون أمام العمل، و قد تطور حتى أصبح من غير الممكن القول بأن ساعة شخص تساوي ساعة آخرين، بل أصبح يقال شخص ساعة يساوي شخص ساعة. إن الزمن هو كل شيء و الإنسان لا شيء، و في أحسن الأحوال مجرد هيكل للزمن.

إن الرياضة الحديثة تشارك بشكل كامل في تحويل الإنسان إلى هيكل، إلى آلة للإنتاج من أجل تحطيم الأرقام، إنها تسمح لرجل الأعمال بممارسة الضغط على العامل، الذي يستبطن في نفس الوقت الانضباط الذي يجعله منقادا و قابلا للسخرة.

و قد كانت الحركة العمالية قادرة على اكتشاف و إدانة هذا الواقع الرأسمالي للرياضة، و هو أمر قامت به بالنسبة لكرة القدم الانجليزية (أصبحت كرة القدم الانجليزية احترافية منذ 1885) التي أصبحت ملوثة عن طريق شركات الفرجة. لقد أصبحت وضعية اللاعبين غير محترمة و تمت مقارنتها بالرقيق الأبيض.

2) الرياضة كمعبئ و مهيء للحرب

لقد استعملت الرأسمالية الرياضة كوسيلة مفضلة من طرف الطبقة المسيطرة من أجل تطوير الوطنية و القومية في صفوف العمال، و كذلك الانضباط العسكري، و قد تم الحديث عن ذلك أعلاه في سياق الحديث عن الألعاب الأولمبية.

لقد ساهمت الرياضة في تعزيز روح المنافسة للتهييء للحرب. في سنة 1811 أسس لودفيك جاهن ناديا تحت اسم تور بلاز، و هو نادي للجمباز، و ذلك بروح وطنية و عسكرية، و استطاع سريا، تأسيس جيش احتياطي يتم به تجاوز محدودية عدد الجنود الذي فرضته الدولة الفرنسية على ألمانيا. و في سنوات 1860 تمت عسكرة رياضة الجمباز في المدارس و تربية الشباب على النظام و الانضباط.

و في فرنسا، تم نفس الشيء عن طريق إنشاء ثقافة عسكرية شوفينية، فقد تم خلق اتحاد الجمعيات الرياضية لفرنسا سنة 1873، و ليس صدفة أنه في نفس الوقت تطورت الرماية

كتخصص تكميلي (تم تأسيس اتحاد جمعيات الرماية في فرنسا سنة 1886)، و في 26 يونيو 1871 أعلن غامبيطا ما يلي :

"يجب أن نضع في كل مكان، إلى جانب المعلم، الرياضي و العسكري" من أجل القيام ب "أعمال وطنية".

بعد هزيمة سودان و إلحاق الألزاس و اللورين بألمانيا، حاولت البورجوازية الفرنسية أن تأخذ ثأرها، و عبر قانون 27 يناير 1880، أدخلت الرياضة إلى المدارس الابتدائية، و سيؤسس جول فيري ما يسمى بالتربية العسكرية بالنسبة للشباب أبناء العمال. و في يوليوز 1881 قامت السلطات في باريس بتنظيم أطفال الجماعات الترابية في فرق مدرسية، هكذا تشكلت أربع فرق تحمل لباسا معينا و قبعات البحرية زرقاء، و تم تسليحهم، و يقوم رئيس الفريق العسكري للجيش البري بتأطيرهم. و في 6 يوليوز 1882، بعد ترسيم هذه الممارسات، توجه جول فيري بخطاب إلى هؤلاء الأطفال قائلا :

"تحت مظهر شيء ممتع، تقومون ، بإنجاز دور جدي و عميق، إنكم تعملون من أجل القوة العسكرية للغد".

إن هذه "القوة العسكرية للغد" مع مجموع الرياضيين المكونين، هي التي ستصبح وقودا للمدافع في مذبحة 1914، الشيء الذي سيسمح لمدير "أوطو" هنري دسكرانج أن يعلن في 5 غشت 1914 باستخفاف و وقاحة : "كل هذه الفرق الصغيرة التي توجد الآن في الحدود من أجل الدفاع عن الوطن ألا تعيش الآن من جديد، تلك الانطباعات المعاشة، عندما كانت في مواجهة مع الخصم في المنافسات الدولية".

هناك فيلم مشهور يسجل لحظة من تلك لحظات المجازر، و التي تخفيها البورجوازية باستمرار (يتعلق الأمر ب "نويل سعيد") و يتعلق الأمر بمباراة كرة القدم، التي ضمت في الجبهة جنودا ألمان و انجليز كانوا يبحثون عن نوع من التآخي، و قد تم نقلهم و إبعادهم و قمعهم بشكل عنيف، فمثل هذه الرياضة لا تريدها البورجوازية و ضباطها، و قد كان من نتائج هذه الحرب الإجرامية الوحشية، أن قامت القوات الأمريكية سنة 1917 بنقل مجموعة من الرياضات إلى أوروبا، مثل الكرة الطائرة و كرة السلة، و قد انتهت الحرب بمقتل 10 ملايين من البشر أغلبهم من أبناء العمال و الفلاحين.

3) الرياضة في مرحلة الانحطاط الرأسمالي من 1914 إلى يومنا هذا

لقد أشرنا في الجزء الأول إلى أن الرياضة هي نتاج خالص للرأسمالية، و في نفس الوقت بينا كيف أنها كانت رهانا لصراع الطبقات، و في هذا الجزء سنبين كيف أن الرياضة هي أداة للدولة مخصصة لاستعباد و قمع المستغلين.

لقد رأينا سابقا كيف أن الرياضة أصبحت ذات طابع عالمي منذ الحرب العالمية الأولى، و ستصبح في عقود معدودة ظاهرة جماهيرية :

1- الرأسمالية الاحتكارية و نشأة الرياضة الجماهيرية

انطلاقا من 1914، استحوذت الدولة الرأسمالية الاحتكارية، و بشكل دكتاتوري على مجال تنظيم التظاهرات الرياضية الكبرى في كل بلد رأسمالي، في وقت كانت فيه تقوم بالتعبئة للحرب الامبريالية الأولى : "إن الرياضة العالمية باعتبارها كلية، أصبحت تنظيما واسعا و بنية إدارية و قضية وطنية تتحمل الدول مسؤوليتها بحسب مصالحها الدبلوماسية" (جان ماري بروهم "السوسيولوجيا السياسية للرياضة").

هكذا، بدأت الدول الرأسمالية ببناء و تمويل بنيات تحتية عملاقة (مركبات رياضية و ملاعب كروية من 80 ألف إلى 100 ألف مقعد، و قد عرف بعضها أرقام خيالية مثل ملعب ماراكانا في البرازيل، و هو أكبر ملعب في العالم يحتوي على 200 ألف مقعد، كذلك ملاعب جمباز ضخمة، مدارات ضخمة لسباق السيارات مثل "إنديانا بوليس موتور سبيدواي" في الولايات المتحدة الأمريكية و يضم 400 ألف مقعد).

إن هذه الملاعب و البنيات الرياضية المختلفة، تمثل كاتدرائيات مبنية بالحديد و الإسمنت المسلح، تمتلئ في المناسبات و على امتداد الأسابيع بالأنصار، الشيء الذي يعرف مداه الأقصى في مناسبات كبرى كالألعاب الأولمبية و كؤوس العالم لكرة القدم، و خلال الجوائز الكبرى لسباق السيارات، و يصاحب هذا،، تنظيم محكم و لوجستيك عسكري لجيش حقيقي، و ذلك من أجل إنتاج فرجة، و تدخل على الخط وسائل النقل و الاتصال تتحمل الدولة مسؤوليتها، و تسمح بنقل الجماهير الواسعة نحو هذه المعابد الحديثة، و كذلك صحافة رياضية متخصصة، التي تطورت صناعيا خلال القرن 20، و ذلك لتغطية كل الأنشطة و الأحداث الرياضية، و أصبحت الإذاعة و التلفزيون أدوات مفضلة لدعاية الدولة، التي تحاول أن تجعل من الممارسة الرياضية مسألة شعبية، و كذلك تنظيم أكثر ما يمكن من الفرجات، و يتعلق الأمر هنا بالفرجة – البضاعة و بالألعاب المالية (لوتري)، و إحدى العلامات على هذا الواقع الجديد هو بقرطة المؤسسات الرياضية، التي أصبحت أخطبوطية: "إلى درجة أنه في يومنا هذا لا نستطيع إطلاقا الحديث عن

الرياضة هناك، حيث ينقص التنظيم الرياضي (فدراليات، اتحادات، نوادي ..." (نفس المرجع السابق) .

إن هذا التحول بدرجة عليا نحو الرياضة الجماهيرية قد حصل منذ 1920، و قد تم في سياق أصبحت فيه الدولة الرأسمالية، هذه الآلة المتوحشة الباردة و غير المشخصنة، و التي انتهى بها الأمر بابتلاع مادة المجتمع المدني نفسه (...) .

لقد أصبحت الأحداث الرياضية الكبرى أسواقا تجارية كبيرة تنظمها الدول، تصاحبها تغطية إعلامية تفوق كل الحدود، و هو الشيء الذي يفسر كيف أن أعداد الرياضيين و المتفرجين تزداد بكثرة خاصة في العقود الأخيرة، ففي فرنسا مثلا، كان عدد الرياضيين في سنة 1914 مليون شخص و بعد 40 سنة أصبح مليونان، و في سنة 2000 أصبح 14 مليون، و في يومنا هذا، خلال المناسبات الرياضية الكبرى، كالألعاب الأولمبية، أصبح بالإمكان تعبئة و تنويم أكثر من 4 مليار من المشاهدين عبر العالم، لقد أصبحت الرياضة أفيونا حقيقيا للشعوب بحسب عبارة ماركس الشهيرة، و أصبحت الدول الرأسمالية تمثل كبار الرهبان لهذا الدين الجديد الكوني. لقد أصبحت الرياضة أفيونا حقيقيا للشعب و مخدرا تزود به بجرعات كبيرة منذ عقود.

في المجتمعات القديمة، كانت السلطة تترسخ عن طريق الدين و الخبز و الألعاب، و في العهد الرأسمالي المنحط عصر البطالة الواسعة أصبحت الرياضة – البضاعة نفسها دينا حقيقيا، موجها لتعزية النفس و الإلهاء و مراقبة العائلات العمالية و الفقيرة.

"أكثر ما يمكن من الألعاب و أقل ما يمكن من الخبز"، إنه الواقع الرأسمالي الحقيقي في يومنا هذا. فبالنسبة للسكان و الجماهير العمالية، التي لا زال لديها الحظ في العمل، و الخاضعة للإيقاعات الجهنمية لعمل المكتب و المعمل و الخاضعة لجحيم الاستغلال و لفقدان الشخصية للمراكز المدينية الكبرى، فإن الفرجة الرياضية أو ممارسة الرياضة قد أصبحت بفضل الدعاية و الماركوتينغ ترفيها ضروريا.

إن الرياضة تشكل إحدى الوسائل المفضلة للخضوع الذاتي للقوى غير المرئية للرأسمال.

هكذا، فإن الأنشطة الرياضية، التي تم ربطها بما يسمى ب "الوقت الحر"، أصبحت في النهاية مجرد وسيلة للعيش و الحفاظ على الذات فيزيولوجيا :

"إن جعل النشاط الحر المبدع للإنسان متدهورا إلى مجرد وسيلة، فإن هذا العمل المستلب جعل من الحياة العامة للإنسان وسيلة لوجوده الفيزيولوجي".

إن الممارسة الرياضية المعاشة كشكل من إزالة الضغط الضروري بالنسبة للأجراء، ليست في الواقع سوى وسيلة لإعادة تشكيل قوة العمل، تماما كما هو النوم و الأكل و الشرب، فالرياضة تسمح بمقاومة أحسن فيزيولوجيا للإيقاعات الجهنمية للإنتاج، أي أنها تسمح بمواجهة عنف ظروف الاستغلال، و النسيان للحظة ما هموم المجتمع الرأسمالي. و المفارقة الفعلية هي أن الرياضة نفسها تشبه العمل الشاق المحدد بوقت، و كذلك المعاناة الإرادية المرتبطة أكثر بالإيقاعات الصناعية و بالإنجازات.

هكذا، تصبح الرياضة بالنسبة لعدد متزايد من الممارسين إدمانا حقيقيا، فالرياضة تعبر عن واقع الاستيلاب هذا، بتحولها إلى ضرورة تولد في النهاية خضوعا كبيرا للرأسمال. و من المتعارف عليه، أن الرياضة تسمح بالزيادة في الإنتاج و تشجيع روح المنافسة، ففي الحياة اليومية، يجري العمل في سياق عام يعمل بالإرث التايلوري، الذي يعمل على استقرار الأجراء، و في نفس الوقت تدميرهم عن طريق حركات متكررة و تغذية سيئة، و قد كان يصاحب ذلك إعلانات الإحساس بالذنب، التي ترافقها خطابات أخلاقية حول الصحة و ضرورة النضال ضد السمنة عن طريق الرياضة، لقد كان المطلب هو أن يكون العامل ذو تنافسية، دينامي و عالي الأداء.

إن هذه الخطابات لفي انسجام تام مع ضروريات تنافسية القائمة بين المقاولات، و التي تشجع و تمول النوادي الرياضية، و تقوم في نفس الوقت بمحاولات بيع خردتها التنحيفية و بضائع أخرى اكتسبت قيمة عن طريق الصورة الرياضية، و ذلك في سياق "تحقيق الرفاهية".

و لنأخذ أمثلة عن بعض التظاهرات الكبيرة و أرقامها :

الألعاب الأولمبية في لندن صيف 2012

لقد تحولت العاصمة البريطانية إلى سوق تجاري كبير أمطر الناس بكل المنتجات التجارية، و في كل مكان، في الملاعب و المركبات الرياضية، و في أي مكان تم إلصاق الآلاف من الملصقات و وضع الشاشات الإشهارية. لقد تحول الرياضيون إلى أناس- ساندويتش ممولين عن طريق ألبسة مملوءة بالشعارات الإشهارية لصالح الماركات الكبيرة، محاولين إظهارها أمام المصورين و الكاميرات.

إن هذا الاستعراض المركنتيلي، هو جزء لا يتجزأ من استراتيجية الإعداد بنفس درجة التمارين الرياضية في التدريب. إن الرياضة هي بضاعة في خدمة اقتصاد الكازينو مع حقوق النقل التلفزي، و منتجات مشتقة ونوادي مسجلة في البورصات تخضع لقانون السوق في بيع الأسهم .

إن تضخم عدد المنافسات على مدار السنة يوافق معنى مسرحي كبير، حيث الدول و المجموعات التجارية تتواجه فيما بينها، و بشكل مباشر حول أسواق مملوءة حتى التشبع. لم يعد الرياضيون أناسا، إنهم بضائع عالية الأداء تتبادلها النوادي فيما بينها، من فدرالية إلى أخرى و بأثمنة فلكية تتطاير فيها ملايير الدولارات أو الأوروهات، و أحيانا لا تعطى الكلمة للاعب المعني.

إن التجارة بالرياضيين الفاقدين لشخصيتهم، أو اللذين تم تحويلهم إلى نجوم مؤلهة، ليعزز هذا الاتجاه نحو تقديس الشخصية، و في الأخير، فليس إلا أحد التعابير المتعددة على فيتيشية البضاعة. إن الرياضي الذي أصبح إلاها أو مجرد شيء يتم تبادله و استغلاله كرأسمال، باختصار، فإن الرياضي المحترف يخضع بطريقة لا رحمة فيها لقانون السوق و المردودية مع التزامه بالنتيجة و المردودية، إنهم يدفعونه إلى الإنجاز الأقصى، يمتصونه امتصاصا و يضغطون عليه، فيلجأ إلى استعمال المنشطات (بضاعة مغشوشة) و إلى تدمير الذات المخطط. إن هؤلاء الرياضيين – الآلة، و اللذين تم تحويلهم إلى روبوتات في سياق تقوم فيه الدولة بتخطيط اللاتسيس و الخنوع، إنهم يغذون فرجات كبيرة من أجل نوع من التمجيد و الدفاع عن النظام القائم، و لذلك يلاحظ أنه في كل التظاهرات الرياضية الكبرى، فإن رؤساء الدول يحتلون المقاعد الأولى، لقطف النتائج السياسية من هذا التبليد المبرمج على درجة عليا، و كل الأنظمة تستغل ذلك، فالديموقراطيات البورجوازية، عن طريق هذه التجمعات على شاكلة التجمعات الدينية، تصنع الأحلام و تشجع عبادة الأصنام، كذلك عن طريق تمجيد العضلات و المجهود و التضحية، إنها تهدف إلى تضبيب العقول تماما كما الدين، و ذلك عن طريق تحريفها عن أي تفكير حول ظروف الاستغلال الرأسمالي، إنها تحاول الإبعاد عن الواقع الحقيقي، الشيء الذي يمس النقد و تعود إلى صراع الطبقات، بل أكثر من هذا، القيام بتجنيدها للحرب كما وقع في سنوات 1930 .

إن الرياضة هي بوضوح، صرف للانتباه عن كل أشكال التمرد و الثورة، و لذلك تخضع المدارس لغسيل الأدمغة و الفورماطاج للعقول. إن الفرق بين الأنظمة الدكتاتورية و تلك المسماة ديموقراطية (الديموقراطية البورجوازية) هو أن هذه الأخيرة تعمل بذكاء و بشكل غير مكشوف.

- مايو 1968 بفرنسا

على إثر انتفاضة ماي 68 في فرنسا، قال وزير الرياضة آنذاك السيد نانغسير، بأنه يجب أن تصبح الرياضة إلزامية في المدرسة من أجل الحفاظ على السلم الاجتماعي، أما رئيس فيدرالية آباء التلاميذ فقد صرح سنة 1969: "منذ سنة بالضبط عاشت فرنسا تمردا شبيبيا، و كل من يبحثون عن حلول لهذا المشكل المعقد، يجب أن يعرفوا أنه لا يمكن إيجاد أي توازن بدون حل مسبق للرياضة

المدرسية"، و في نفس الوقت قامت الجرائد بحملات تحت شعار "أنه من الأحسن أن نقوم بالرياضة على أن نواجه بدنيا الشرطة و قوات التدخل الخاصة".

إن التدجين و الإلزام بالخضوع عن طريق الرياضة، و عن طريق رموزها و عالم المعتقدات الخرافية، إن كل هذا يدخل جيدا في رؤية الإيديولوجيا الديموقراطية البورجوازية الرسمية، و ذلك من اجل مراقبة اجتماعية عن طريق مربين، عليهم إنعاش أسطورة "العصامية"، أسطورة ذلك الرياضي الذي يستطيع أن يحقق أحلامه بشكل ذاتي، أي بشكل فردي، و ذلك بفضل صفاته الخاصة و الانضباط العسكري. إن هذا الأفق المساواتي، حيث "لكل حظه" بشرط العمل و الزهد، فبهذه الإيديولوجيا لا يمكننا إلا تنويم حواس أولئك اللذين يبحثون عن نقد جذري للمجتمع، أولئك اللذين يبحثون عن تطوير روح سياسية للنضال ضد النظام القائم.

الرياضة و القمع

إن الرياضة بمساهمتها في تنويم العقول، تساهم في نفس الوقت للإعداد للقمع بشكل مباشر. إن المباريات الرياضية قد أصبحت حجة لاستعراض قوات القمع بشكل مهيب، و ذلك باسم الدفاع عن النظام العام و عن الأمن.

إننا نعيش في زمن التسييج البوليسي و المراقبة الشاملة مع حضور مستمر للعساكر، اللذين يقومون بدوريات منتظمة في أماكن عمومية كمحطة القطارات، حتى أن هذا التعزيز لعدد قوات القمع قرب الملاعب أصبح يظهر عاديا. هكذا تقوم الدولة بجعل الأمر اعتياديا في العقول و القبول بالحضور الكثيف لجهاز القمع الذي تحتكره.

و لنتذكر أنه في سنوات السبعينات ف "الدول الديموقراطية" في أوروبا الغربية كانت غالبا ما تندد بالأنظمة الفاشية و دكتاتوريات أمريكا اللاتينية، و ذلك بسبب الحضور الكثيف لقوات القمع و الجيش في الأماكن العمومية، قرب الملاعب خاصة (ألأرجنتين، البرازيل، الشيلي ...).

في اليابان 1972

خلال الألعاب الأولمبية الشتوية في سابورو قام 4000 من الجنود اليابانيين بتسييج الموقع الرياضي، بحيث لا يمكن الانتقال إلى ملعب آخر بدون أن يقطع المتفرج سلسلة قمعية بوليسية، و يتم تفتيش جسمه، و يصاحبه منظمون خاصون.

الألعاب الأولمبية في لندن سنة 2012

لقد تحولت المدينة إلى موقع حربي، فقد تم استعمال 12 ألف من الشرطة و 13500 من الجنود، أكثر من الجنود اللذين أرسلتهم بريطانيا إلى أفغانستان (9500) .

كما قامت السلطات البريطانية بوضع أجهزة سريعة، عبارة عن صواريخ أرض جو، تم وضعها فوق عمارة توجد في منطقة ذات كثافة سكانية مرتفعة، وتم رسم طرق خاصة بالنسبة للسيارات الرسمية في الشوارع و الأزقة ، و ممنوعة عن الناس العاديين، و وضعت عقوبات لمن يخالف ذلك قدرها 135 جنيه استرليني، و تم اتخاذ إجراءات أخرى، فبعد التفتيش المنهجي عند الدخول إلى الموقع الأولمبي يمنع على الداخلين حمل قارورات المياه، كما منع على المواطنين أن يغردوا عن طريق تويتر و أن يشاركوا صورهم بأية طريقة كانت.

الألعاب الأولمبية في ميونيخ 1936

قام النظام النازي الهتليري بتعبئة 20 ألف من الجنود و 13300 من رجال الأمن الخاص.

كيف تحولت المركبات الرياضية إلى مراكز اعتقال و إبادة المعارضين؟

المثال الأول: "الرافل فيل" في فرنسا

قام البوليس و المليشيات الفرنسية في صيف 1942 خلال الاحتلال الألماني بنقل المواطنين الفرنسيين من اليهود إلى الفيليدروم، الذي استعمل كمعسكر اعتقال وضع فيه اليهود، اللذين يتم انتقاؤهم قبل إرسالهم إلى معسكر الإبادة في أوشفيتز.

المثال الثاني: قصر الرياضة في فرساي 1961

تم نقل 7000 جزائري بالعنف نحو هذا القصر، و كذلك إلى ملعب بير دوكبرتان بباريس، و قد تعرض الجزائريون إلى الضرب فقد على إثره الكثيرون حياتهم، حيث تم الإلقاء بهم في نهر السين.

المثال الثالث: الكونغو في 1966

قام الرئيس موبوتو بإعدام المعارضين أمام الجمهور في ملعب الشهداء بكنشاسا.

المثال الرابع " في الشيلي 1973

قام الرئيس الانقلابي الفاشي بينوشي بتحويل الملعب الوطني الشيلي إلى مركز للتحقيق و التعذيب و الانتقاء، من أجل نقل المعارضين و المواطنين الأبرياء إلى مراكز التعذيب، و ذلك بعد انقلابه

الشهير في سنة 1973، الذي نظمته المخابرات المركزية الأمريكية ضد الرئيس الاشتراكي المنتخب سلفادور أليندي.

المثال الخامس: الأرجنتين 1978

نظمت الطغمة الحاكمة الفاشية بقيادة الجنرال فديلا خلال كأس العالم سنة 1978 مجازر ضد المعارضين الأرجنتينيين، و قد استعمل أحد الملاعب لتعذيبهم، و استعملت السلطات مجموعة من مكبرات الصوت في الملعب للتغطية على صراخ من يتم تعذيبهم في زنازين الملعب (المباريات تجري و التعذيب يجري في نفس الوقت).

المثال السادس: رواندا 1994

خلال الإبادة الاثنية في رواندا، تم استعمال ملعب أمشورو في العاصمة كيغالي خلال المذابح التي كانت تجري في رواندا بعلم من السلطات الفرنسية، التي قابلت الأمر بصمت، و هناك شهادات كثيرة عن كيفية تحويل الملاعب إلى مراكز للإبادة، و قد ضم هذا الملعب 12 ألف شخص تركوا لحالهم و مات منهم العديد.

المثال السابع: كابول

في مدينة كابول، و في احد ملاعب كرة القدم تم إعدام العديد من النساء و الرجال انطلاق من الخشبة الأفقية للشبكة لحراسة المرمى، كما تم قطع أطراف الكثيرين بتهمة السرقة و رجم العديد من النساء بمبرر الزنى و الخيانة الزوجية.

المثال الثامن: جنوب إفريقيا 2010 بمناسبة كأس العالم

تم تدشين ملعب الكاب بمناسبة كأس العالم ل 2010، و مما ضمته بنيات الملعب مجموعة من الزنازين لحبس المتفرجين المتحمسين أكثر من اللزوم.

و عموما، فهناك علاقة وثيقة بين مراقبة العقول عن طريق الرياضة و البنيات التحتية الرياضية و بربرية الرأسمالية في طور الانحطاط.

إن التناقضات بين الطبقات و تأججها يحول شيئا فشيئا أماكن و ساحات المباريات إلى واجهات للصراع و التوترات خلال المباريات الرياضية نفسها.

إن أسوأ الإيديولوجيات و كراهية الأجانب الأكثر بدائية بالإضافة على الشوفينية الوطنية المتطرف كلها تؤدي إلى البربرية و الحقد المتبادل.

5) الرياضة، القومية و الامبريالية

في هذا الجزء، سنرى كيف أن الرياضة تركز الإيديولوجيا القومية، و أنها أداة في خدمة الامبريالية، و في ذلك تعبير عن وحشية الرأسمالية المنحطة.

يروج الإعلام و مرتزقته في مجال الرياضة، و من ورائهم الأنظمة السياسية أسطورة أن الرياضة محايدة سياسيا، و في الواقع يناقض هؤلاء أنفسهم عبر كل الوسائط الإعلامية بتكريس الهوية و الوطنية الشوفينية.

بعد صدمة الحرب العالمية الثانية، "فإن الهوة بين العالم الخاص (القطاع الخاص) و القطاع العام تم ملؤها عن طريق الرياضة، فبين الحربين العالميتين الأولى و الثانية تم تحويل الرياضة كفرجة جماهيرية إلى توالي معارك فرسان بين أشخاص و فرق ترمز إلى دول قومية" (هوبسباوم "أمم و وطنية" منذ 1780)".

- الرياضة تركيز للوطنية (القومية)

إن الوطنية قد تم استعمالها باستمرار ضد المستغلين عن طريق استعمال شعائر و رموز تؤطر بها المباريات، و يتم استعمال الإخراج الرياضي لأغراض الدعاية، و ذلك خلافا لادعاءات التاريخ الرسمي، و لم تعد فقط خصوصية تتعلق بالنازية و الأنظمة الفاشية و الدكتاتورية، بل أصبحت ممارسة معممة على مستوى كل البلدان، و يكفي النظر إلى بروتوكولات و مهرجانات الافتتاح للألعاب الأولمبية في لندن 2012.

إن الاستعراضات الرياضية الكبرى، تخلق انفعالات و عواطف جماعية توجه العقول بسهولة نحو عالم من الرموز و الشعارات الوطنية :

"إن ما يعطي للرياضة فعالية متميزة كوسيلة لغرس إحساس وطني (...) هو تلك السهولة التي يمكن بها الأفراد (...) من تحديد انتسابهم إلى الوطن المرموز إليه" (نفس المرجع السابق).

إن المباريات ترافقها دائما موسيقى عسكرية خاصة في المباريات الدولية، حيث تبدأ المباريات و تنتهي بأناشيد وطنية".

إن الشعائرية الرياضية هي في هذا المستوى شعائرية المواجهة بين الأمم، و خلال لحظات الوحدة المقدسة، فإن الطبقات الاجتماعية تذوب و يتم إنكارها، و المتفرجون مدعوون إلى الوقوف و النشيد بعيون مركزة على العلم الوطني أو الفرقة التي تجسده بألوانها.

إن الانتصارات الرياضية الكبرى بإمكانها أن توسع مبدأ الخضوع الأعمى هذا في نوع من الهيستيريا الجماعية (الأمر الذي رأيناه عند انتصار المنتخب الاسباني في كأس العالم لسنة 2010 أو سنوات قبل ذلك و بالنسبة لفرنسا سنة 1998).

في هذه المناسبات تفجر مظاهرات الفرح التي تغطيها الأعلام الوطنية، و حيث يردد النشيد الوطني و الشعارات الممجدة للفريق الوطني، و حيث الذاكرة الجمعية تحيي ذكرى أساطير اللعبة الوطنية.

إن حرب الألقاب و الميداليات، و أمة ضد أمة، تحاول أن تحافظ على استمرار تبعية العقول عن طريق تهييء الأرضية للإكزونوفوبيا و "العنف الوطني".

إن الرياضة تجسد فعلا مصالح الدول بنفس الشكل، الذي تعبر عنه شعائرية الجيش من خلال الأوسمة و الاستعراضات و الترقيات، و كما قالت روزا لوكسمبورغ خلال الحرب العالمية الأولى: "إن المصالح الوطنية ليس إلا توهيما هدفه جعل الجماهير الشعبية الكادحة في خدمة عدوها القاتل : الامبريالية".

- الرياضة في خدمة الامبريالية

لقد استعملت الرياضة دائما في المواجهات الامبريالية، فالألعاب الأولمبية في برلين سنة 1936 قد كانت مقدمة لاستعراض القوة لقوى المحور، ذلك المحور العسكري الذي سيقاتل من أجل ما سيسميه بمجاله الحيوي. فبالنسبة للنازيين، فإن الأبطال يجب أن يكونوا محاربين من أجل ألمانيا و سفراء للرايخ الثالث، و كما يقول هتلر فإن الشاب الرياضي الألماني يجب أن يكون "مقاوما كالجلد و صلبا كفولاذ كروب"، إذن فالرياضة هنا يجب أن تهيئ الحرب الامبريالية، و أن تبرر "تفوق" العرق الآري، بالرغم من انتصارات المتسابق الأمريكي الأسود جيس أوين، الشيء الذي أثار الفوهرر . و ما كان يجري على مستوى كتلة المحور كان يجري مثيله على مستوى دول الحلفاء، بحيث أصبحت المناسبات الرياضية و الجمعيات الرياضية تقوم بالتعبئة للحرب.

و خلاصة القول، فإن الرياضة قد ساهمت بدورها من جهة أخرى، فيما سيصبح مجزرة عالمية ذهب ضحيتها أكثر من 50 مليون قتيلا أغلبهم من العمال و الكادحين و الفلاحين.

بعد الحرب العالمية الثانية دخل العالم ما يسمى بالحرب الباردة، التي استمرت إلى سنة 1990 بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، و قد ألقت هذه الحرب بظلالها على مرحلة بكاملها، و واكبت هذه المرحلة انحطاط النظام الرأسمالي، و أخذت اللقاءات الرياضية طابعا تأثر بالصراعات الامبريالية البينية و بالصراعات غرب – شرق. هكذا، و خلال هذه المرحلة الطويلة، سنجد، و ذلك ابتداء من 1920 الدول المنهزمة في الحرب العالمية الأولى كألمانيا و اليابان، قد تم إقصاءهما، و هما الدولتان المنهزمتان في الحرب، و ذلك كانتقام منهما.

و في ألعاب 1956 في ملبورن (أستراليا) قامت مجموعة من الدول، منها هولندا و اسبانيا و سويسرا بمقاطعة الألعاب احتجاجا على التدخل السوفياتي في بودابيست، و ذلك في سياق الحرب الباردة.

أما في سنة 1968، في المكسيك، في لحظة حدوث مجزرة كبيرة أدت إلى مقتل 300 طالب في ساحة "الثقافات الثلاث" لم تقاطع الدول المسماة ديموقراطية تلك الألعاب، و لم تعر أي اهتمام بالمجزرة.

و في سنة 1972 قام كوموندوس فلسطيني تابع لمنظمة "أيلول الأسود" بعملية احتجاز للرياضيين الصهاينة المشاركين في ألعاب ميونيخ، و قد جاءت العملية في سياق رد فعل على المجزرة التي تعرضت لها قوات الثورة الفلسطينية في أيلول 1970 بإيعاز من الكيان الصهيوني و الامبريالية الأمريكية، و قد أدت العملية إلى مقتل 17 رياضيا من الكيان الصهيوني.

و في سنة 1976 قاطع جزء كبير الألعاب الأولمبية بسبب الأبارتايد، و في سنة 1986 في الألعاب الأولمبية بموسكو تمت مقاطعة الألعاب من طرف الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى الصين، و ذلك احتجاجا على التدخل السوفياتي في أفغانستان.

و خلال هذه المرحلة، التي تميزت بالحرب الباردة كانت المنافسة حادة بين المعسكرين الشرقي و الغربي، و ذلك في الألعاب الأولمبية، و بعد سقوط الاتحاد السوفياتي دخلت الصين على الخط في مواجهة الولايات المتحدة على مستوى الألعاب الأولمبية.

و مما ميز المنافسات الأولمبية خلال هذه المرحلة، انتشار استعمال المنشطات بهدف تحقيق الأرقام القياسية و "الانتصار على العدو".

كانت المنافسات تجري في إطار كتل عسكرية متعارضة، و بعد سقوط الاتحاد السوفياتي تحول ذلك إلى صراع بين الدول و الأمم. و قد جسدت كرة القدم مستوى عال من التوترات تولدت عنها أحقاد و روح انتقام في وسط الجماهير، و من الأمثلة الكثيرة في هذا المجال يمكن ذكر المقابلة التي

جرت بين السلفادور و الهندوراس سنة 1969 ضمن إقصائيات كأس العالم سنة 1970، و قد نتج عن المباراة دخول البلدين في حرب، انتهت ب 4000 قتيل على الأقل.

لقد أصبحت الرياضة مرآة للرأسمالية التي تعيش حالة انحطاط، و أصبحت الرياضة تعبر أكثر فأكثر عن واقع التعفن للمجتمع البورجوازي الفاقد لأي مستقبل. هكذا، فغياب الأفق و ارتفاع البطالة و الفقر، تولدت عنه في سنوات السبعينات، و خاصة في سنوات الثمانينات، نشأة جماعة الهوليغنز المعادية للأجانب، و التي تحت تأثير الخمر، زرعت الإرهاب و الحقد خاصة في ملاعب المدن الكبرى في انجلترا، و من الأمثلة في هذا المجال، في ماي 1990، خلال مقابلة بين دينامو زغريب و الردستار لبلغراد، جرت معارك قوية بين جمهور الفريقين، انتهت بالعديد من الجرحى و القتلى، الشيء الذي ساهم في تسميم الأجواء، و زاد من التوترات القومية بين شعوب و أمم يوغوسلافيا، الشيء الذي شكل أرضية لانفجار يوغوسلافيا، و من المعلوم أن أحد المشجعين الصربيين المتطرفين كان أحد قادة الحرب المعروف باسم أركان، و قد تخصص في التطهير الاثني، و قد أصبح متابعا من طرف الأمم المتحدة بتهمة الجريمة ضد الإنسانية.

و مع انتشار المنشطات و العنف و الاقتتال، أصبح الحديث على أن الرياضة أصبحت مصابة بغانغرينا المال و المافيات حتى من طرف الإعلام البورجوازي، لكن هذا الإعلام هو نفسه يتجاهل أن الرياضة نفسها مافيا و منتج خاص للرأسمالية.

لقد اخترقت قطاعات من الرأسمال المالي، و عبر أنظمة غامضة تستعمل شركات الواجهة على رأسها يوجد في آخر الخيط الدول نفسها، فقد أصبحت الرياضة بسبب الأزمة الاقتصادية الكارثية لعبة كازينو و رمزا لنمط إنتاج في حالة إفلاس.

إن المؤسسات الرياضية كاللجنة الأولمبية الدولية، أو الفيفا (الفدرالية الدولية لكرة القدم) و النوادي الكبرى، تغذي أخلاقيات الأوغاد و الأشرار، يمثلهم العديد من اللاعبين و السياسيين و المضاربين، فكل هؤلاء نجدهم ضمن الفضائح المتكررة، و منها تحويل الأموال و التملص من الضرائب، ثم بعد ذلك العمليات المالية الوحشية، التي تمس بناء المركبات الرياضية كما وقع في جنوب إفريقيا، أي الانتزاع العنيف للأراضي و المواطنين اللذين يتم الإلقاء بهم في الشارع.

إن كل الدول و المافيات و عالم "الرياضة" المتعفن حتى النخاع، يضارب في القطاع الاقتصادي للرياضة و الألعاب، بل هناك البعض ممن يشترون النوادي بمداخيل البترودولار، كما هو الحال بالنسبة لقطر، التي اشترت فريق سان جرمان و كذلك اللاعبين، و يتم الاستثمار في هدا القطاع غير المنتج، و الحال نفسه في بريطانيا بالنسبة للنوادي الكبرى، فخلال المركاتو (سوق بيع اللاعبين و

شراءهم) (أحيانا يباع اللاعب بدون إرادته، و هذا السوق شبيه بسوق الحيوانات و سوق العبيد)، و تساهم هذه المعاملات في تبييض الأموال الوسخة.

إن الوجه الآخر للعملة، يتمثل في الاستغلال المكثف، فإلى جانب نجوم لها أجور خيالية و وكلاء فاسدين، هناك الآلاف من الرياضيين الشباب لا يتوفرون على عقود و يعيشون في الفقر، خاصة من الشباب الإفريقي، اللذين يتم استقدامهم بعد خداعهم إلى أوروبا، و تلقي بهم النوادي إلى الشارع، و يتحولون إلى أشخاص بدون مأوى. و هناك كذلك مسألة المباريات المغشوشة و الرهانات المالية، التي تصاحب العديد من اللقاءات في أوروبا و عبر العالم، و تشتهر كرة القدم الإيطالية أكثر من غيرها بذلك، و تبين لنا أن العديد من اللاعبين و المسيرين مرتبطون بشكل واضح بعالم السياسة و الجريمة المنظمة، و حتى بعض الرياضات، التي يدعي الإعلام أنها نظيفة تخضع بدورها إلى رهانات مغشوشة و تقوم على الرشوة، و الحال نفسه يوجد في رياضة التنس، حيث يقوم بعض اللاعبين، اللذين تمت تأدية الأموال لهم مسبقا في الكواليس، اللذين لا يترددون في التسبب في الهزيمة بشكل إرادي، و ذلك من أجل ربح مال أكثر.

إن كل الممارسات أعلاه تتحمل الدول مسؤوليتها، و أحيانا تتجاوز الحدود لتمس بأمن المتفرجين، كما تدل على ذلك مجموعة من الأمثلة، فمثلا في سنة 1985 و خلال دراما ملعب هيزل في بلجيكا، حيث بسبب ضغط وزن المتفرجين المتحمسين، انهارت شبابيك الفصل مسببة 39 قتيلا و أكثر من 600 جريح، و تعود الأسباب أحيانا إلى وضع تجهيزات قليلة الجودة، و عندما يتجاوز الحضور القدرة على تحمل المدرجات، تقع الكوارث كما حصل في شيفيلد في بريطانيا في ابريل 1989، حيث سقط 98 قتيلا و 766 جريحا. و في ملعب فورياني في باستيا يوم 5ماي 1992 سقطت منصة مؤقتة تم بناؤها على عجل، فسقطت قبيل انطلاق المقابلة مسببة في 18 قتيلا و 2300 جريحا.

- استعمال المنشطات، تعبير خالص عن عالم منحط

يتم استغلال الرياضيين أنفسهم بشكل وحشي عن طريق المنشطات، حيث يتم دفعهم إلى الحدود الفيزيولوجية القصوى مما يتسبب في موتهم.

عند بداية القرن 20، كان أشهر منشط مادة تسمى ستريكنين، و منذ ذلك الحين، أصبحت الرياضة بالنسبة للدول علما تجريبيا للمردودية الجسدية، الشيء الذي تولد عنه خلق مختبرات للطب الرياضي، و نشأ عن ذلك فتح معاهد رياضية متخصصة. و في سنة 1967، صدم العالم بموت الدراج البريطاني طوم سومسون في مرتفعات جبل فنتو في فرنسا بسبب تناوله المنشطات. لقد

اعتاد عالم الرياضة على استعمال المنشطات، و قد قال الطبيب السابق لسباق الدراجات في فرنسا، و يدعى جان بيير دوموندرات : "إن الرياضة ذات المستوى العالي هي مدرسة للغش"، و اليوم أصبح استعمال المنشطات و المتابعة الطبية أمران مرتبطان، فستيرويد و الابتنائيات (منشطات تستعمل انطلاقا من هرمونات للزيادة في حجم و قوة العضلات) و الإيبوهرمون يلعب دورا أساسيا في إنتاج خلايا الدم الحمراء، التي تحمل الأوكسجين من الرئتين إلى باقي أجزاء الجسم، و يتم إنتاج هرمون إريثروبويتنين بشكل أساسي في الكلي، و ينتج الكبد كمية قليلة منه).

و من الشائع أن استعمال هذه المواد المنشطة في رياضة الركبي، حيث يتم حقن مجموعة من المواد، منها مواد بيطرية، و يتم الحديث هنا عن الكيلينيترول و صالبيتامول، و هي منشطات تعطى أصلا للعجول و الثيران، و يتم بيعها عن طريق أشخاص مشبوهين، و على اللاعب أن يجد من يزوده بها.

إن الطبيب يقدم لك الحقنة الأولى، و عليك بعد ذلك أن تتصرف بنفسك، و يقول احد اللاعبين أن "الأومرطا (المافيا) موجودة بشكل كبير في ميدان الرياضة، و منتشرة أكثر عند المراهقين"، و تحطم هذه المنشطات الرياضيين مبكرا، فيعانون من اضطرابات خطيرة: حوادث تتعلق بالقلب و بدوران الدم و بالقصور الكلوي و الكبد و السرطانات و العجز الجنسي و العقم و اضطرابات الحمل عند المرأة، و الأمراض العقلية و العظمية، و هناك عدد كبير من الرياضيين من مستوى عال يتوفون قبل 40 سنة من عمرهم، و كمثال على ذلك سباحات المانيا الشرقية، اللواتي سقطن نتيجة هذه الممارسات، فقد كانت هؤلاء السباحات ملزمات باستعمال المنشطات و أحيانا بدون علمهن، لقد أصبحن رجالا على المستوى الهرموني (نسبة قوية في شعر الجسم، اضطراب في الليبيدو ...) . و يقال أنه كان هناك أكثر من 10 آلاف ضحية توفي العديد من هن مصابات بالسرطان و الأمراض الخطيرة، و من الحالات تلك التي كان ضحيتها الدراج الأمريكي لانس امسترونغ، الذي فاز في سباق فرنسا للدراجات سبع مرات، و الذي انتهى به الأمر إلى الانكشاف و تم نزع كل الميداليات منه.

إن أخلاقيات الرياضة هي أخلاقيات الرأسمالية، و يمكن تلخيصها في: الطموح، الغش، الرشوة، النفاق، المنافسة حتى الموت و العنف و التعنيف. إن الحديث عن تخليق الرياضة اليوم هو وهم ليس إلا، بل يوتوبيا رجعية، بل نصب كبير.

6) الرياضة و الشيوعية

إن محاولات استعمال الرياضة في إطار الرأسمالية المنحطة لصالح النضال العمالي، هو محاولة انتهازية، تقوم بتحفيز القوى المحافظة، فليست هناك رياضة بروليتارية في إطار رأسمالية منحطة.

خلال الموجة الثورية العالمية، التي انطلقت مع ثورة أكتوبر 1917، تأسست الأممية الحمراء للرياضة سنة 1921، إلا أن هذه التجربة و تجارب أخرى فشلت، و يعود الأمر إلى الظروف التاريخية و السياسية للمرحلة: مرحلة الرأسمالية المنحطة و الحصار و العزلة التي تعرضت لها الثورة الروسية.

و يقول ماركس أن المجتمع الشيوعي سيقدم "البرهان العملي على إمكانية توحيد التعليم و الرياضة مع العمل، و العكس صحيح" و بطبيعة الحال، ينخرط هذا الطرح في مشروع بناء الإنسان الشامل، الذي طرحه ماركس و لينين.

و في سياق المجتمع الشيوعي، سينمحي هذا النوع من الرياضة، في ظل مجتمع لا طبقي، مجتمع موحد و إبداعي وحر، مجتمع الإنسان الشامل عند ماركس، و فيه تجد الرياضة كل طبيعتها الاجتماعية :

"حواس الإنسان الاجتماعي هي غير حواس الإنسان اللاجتماعي، و فقط، بفضل تفتح الكائن الإنساني يتشكل و يتطور غنى الحساسية الذاتية للإنسان: أذن موسيقية، عين تنظر إلى جمالية الأشكال، و باختصار، حواس قادرة على المتعة الإنسانية، حواس تتأكد كتحكم خاص للكائن الإنساني ... عندما تتحقق، ينتج المجتمع كحقيقة دائمة، ذلك الإنسان الذي يتمتع بكل غنى كائنه، الإنسان الغني، الإنسان المتمتع بكل حواسه، الإنسان العميق" (فصل "الشيوعية و الملكية"، المخطوطات، كارل ماركس).

إن هذا الإنسان العميق سيعبر عن فردانيته الحقيقية في انسجام أعلى: تلك المتعلقة بالوحدة الديالكتيكية، التي تعلي من قيمة جمال الجسد و الروح.

علي محمود